في قراءة الخطاب الديني عند جورج طرابيشي.
التحليل النقدي للخطاب الديني.

الباحث: آمنة عطوط
أستاذة محاضرة صنف " ب " بجامعة محمد لمين دباغين ـ سطيف ٢

ملخص البحث
حاول هذا البحث أن يقترب من المشروع النقدي الأخير للمفكر السوري " جورج طرابيشي": " من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، النشأة المستأنفة " فهما ومساءلة ، لينظر في مدى اهتداء الناقد إلى خيار علمي ومنهجي مناسب بعيدا عن المناظرة السجالية لمدونة " الجابري".
وكان أكثر تركيزه، أي البحث، على الآلية المنهجية التي استثمرها الناقد في قراءة التراث العربي الإسلامي، وتحديدا منه العقل السنّي، إذ راهن على بعد المنهج في إعادة قراءة المسألة الدينية يحدوه في ذلك سؤال الحداثة / هاجس التحديث وكيفية خروج العقل العربي الإسلامي ممّا يعانيه من انغلاق وفوات.
هذا، واهتدى البحث بالمقاربة الحوارية لتفكيك وتأوّل خطابات " جورج طرابيشي " التي يبدو أنّها تحمّل السنّة أو ما أسماه بإسلام التاريخ مسؤولية استقالة العقل في الإسلام.
الكلمات المفتاحية: السنّة، التراث، العقل، آلية، إسلام التاريخ، إسلام القرآن، قراءة، تفكيك ...

فكرة البحث: الوقوف عند قراءة " جورج طرابيشي" للسنّة فهما ومساءلة بعدّه من أهمّ المراجعين المعاصرين للتراث العربي الإسلامي لاسيما في مؤلفه الأخير " من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث".
مشكلة البحث: ما هي الآليات النقدية التي شحذها طرابيشي في إثبات فرضياته؟ أو كيف استثمر المعطى المنهجي في قراءة ما أسماه بالعقل السنيّ؟ ولماذا يصر على تكسير المركزيات وإزاحة الغيبي والمتعالي؟ .
منهج البحث: ولمّا كان همّ الباحث من وراء هذه الدراسة محاولة الولوج إلى النّص الطرابيشي فهما ومساءلة، فقد استعان بالمقاربة الحوارية، إذ لجأ إلى نصوص تلتقي مع أفكار الناقد ائتلافا حينا واختلافا أحايين كثيرة، قصد فك مغاليق نصّه واستكناه فهومه، ولأنّ التفكيك استراتيجية تسمح لمريدها بتقويض الخطابات وكشف ثغراتها إضافة إلى فضح تمركزاتها واستحضار المغيب الذي أسقطه النص عمدا أو سهوا، فقد اسستدعته الدراسة كلّما لزم الأمر، إذ يحدث أن يتفرج الباحث على النّصوص وهي تقوض بعضها بعضا.

خطة البحث:

تمهيد

١ـ الرسول بوصفه بشرا

٢ـ الرسول الأمي قارئ كاتب

٣ـ لا أممية الرسالة والفضاء المحدود

خاتمة.

تمهيد: يعدّ جورج طرابيشي، بحق، من أبرز مفكري العصر نظرا للقيمة المعرفية المتنوعة التي تحوزها مؤلفاته وترجماته، حيث انتقل من النقد الأدبي أو نقد الرواية إلى نقد التراث ليرتبط اسمه ب " نقد نقد العقل العربي " يحركه في كلّ ذلك شاغل النهضة، وقد ختم مسيرته بمشروع " من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، النشأة المستأنفة" الذي أفرده للبحث في الآليات الداخلية المسؤولة عن إقالة العقل في الإسلام.

وغنيّ عن البيان في هذا الموضع أنّ المفكر كان نصيرا متحمسا للعلمانية، إذ رأى فيها الحل الأجدى لكل ما يعانيه العالم العربي والإسلامي من تأزمات بداية بعلمنة الدولة فعلمنة المجتمع إلى علمنة الدين والفصل فيه بين الزمني والروحي.

ستسلط هذه الورقة البحثية قراءتها على المؤلف الأخير لطرابيشي، كونه فيما نحسب، حمل بوادر التأسيس لمشروع شخصي بعيدا عن تتبع سقطات الجابري، حيث نقد الطريقة النمطية التي قرأ بها الأقدمون الرسالة ومازال يتعاطاها العقل الحديث بكامل جاهزيتها، هذا العقل الذي يرفض العودة إلى كيفية استقبال الرسالة في انبثاقتها الأولى حيث السؤال والتعدّد وتقبل النقيض، ويصر على تشرّب الفهوم التي أنتجت حولها بعد بكل ما تنطوي عليه من دوغمائية وتعال وميل وسواسي إلى إغلاق دوائر الجدل والحوار.

ولعل ما يتداول حول شخص النبي محمدــ صلى الله علية وسلم ـ يندرج في هذا الإطار، النبيّ البشر مع العصر الأول والنبيّ المؤسطر، حسبه، مع العصور والفهوم التالية.

١ـ الرسول بوصفه بشرا:

لا يتوانى طرابيشي في شحذ آليته النقدية في سبيل إثبات البشرية الخالصة للرسول **صلى الله عليه وسلم**، كرّة بنصوص صريحة وكرّة عن طريق التأويل وكشف اللامقول، فمحمد بشر تنطبق عليه صفاتهم، يمكن أن يصيب ويخطئ وذلك مدلول الحديثين الشريفين " إنّما أنا بشر مثلكم وإنّكم لتختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنّما أقطع له قطعة من نار"١ بل إن حادثة تأبير النخل أشد دلالة.

ولا شك أنّ الناقد يروم باستحضار هذين الحديثين الإبانة عن الفصل الحاد بين الجانب الروحي/ الوحي في شخص الرسول وبين الجانب البشري/ الزمني، فأن يكون الرسول بشرا هو أن تسقط من بين يديه السلطة التشريعية " فضلا عن أنّه معطل عن الإرادة الذاتية منهي عن المبادرة، ومطالب بالخضوع التام من حيث هو مرسل للمشيئة الإلهية المرسلة"٢.

وهنا تحديدا يقيم "طرابيشي" التمييز بين مستويي النبوة والرسالة، حيث نصاب النبي المعجزة ونصاب الرسول الرسالة٣ ، ويسقط عن محمد **صلى الله عليه وسلم** النبوة لتنحصر وظيفته في البلاغ والبلاغ حصرا.

لكن هل تكفي المعجزة برهانا للتمييز بين النبوة والرسالة؟ أليست الرسالة أشمل لمفهوم النبوة؟ وكيف إذا كانت النبوة جزاء إبلاغ رسالة؟

إنّ باحثا مثل "أبي القاسم حاج حمد" وإن ردّ القول شأن طرابيشي بتأييد محمد ـ **صلى الله عليه وسلم** ــ بأي شكل من أشكال المعجزات فإنّه لا يتوصل قط إلى أنّ انتفاء المعجزة يستلزم انتفاء النبوة، حيث إنّ " حجب هذه الخوارق ليس متأتيا عن مرتبة لخاتم النبيين بأقلّ من مراتب الرسل الذين سبقوا بخوارق المعجزات (...) ولكن الخوارق حجبت إيذانا بدخول البشرية مرحلة حاكميتها الخاصة، وهي أخطر مرحلة في الخطاب الإلهي"٤ ، فلحظات التحول التاريخية الكبرى منوطة بالرّسل ، أمّا الأنبياء فيكتفون بتقرير الشرائع وإصلاحها، وهكذا " فالرسالة تمثل من ناحية تجاوزا للنبوة إلا أنّها تستبقيها في جوفها في الآن نفسه، ولهذا فإن الرسول أعم من النبي"٥ .

إنّ الرسول ــ حسب طرابيشي ــ ليس أبدا سائّا بقدر ما هو مسنون له إذ كيف لبشر يخطئ ويصيب أن يكون سائّا وما خول له القرآن هذه السلطة أبدا بل خلع عليه هذا تعبيرا ومفهوما علماء الحديث والفقه في القرون اللاحقة، ذلك أن مفهوم السنة ما وجد إلا في نهاية القرن الأول الهجري ٦

وهكذا تمعن آلية طرابيشي في الفصل بين الغيبي / المطلق/ الروحي والواقعي / البشري / النسبي، في قراءة تتغيّا كشف النقاب عن الأطر المرجعية المتحكمة في الفكر العربي الإسلامي، ذلك أن هذا الفكر في عصره التأسيسي الأول قد كان واعيا بمصدر تشريعه، أي القرآن، وإنّما حصل هذا التحول بفعل التغير الذي يصيب الأفكار والمؤسسات بحسب اختلاف العصور والمجتمعات، إنّها التاريخية منهج دراسة إذا، ولكن كيف تأتى لطرابيشي رصد هذا التحول؟

إنّه النص ولا شيء غير النص فبنية القرآن الأمرية النهيية وتدخله في جميع حياة الرسول دليل قاطع على نفي أحقيته بالتشريع، "وعلى أي حال فإنّ أمر الناس بإطاعة الرسول لا تعني تخويله سلطة تشريعية هي من حق الله وحده بل يعني إطاعته فيما يدعوهم إليه من الإيمان بما أنزل إليه من ربه أي التصديق بالرسالة"٧. إنّ طرابيشي حين يبحث في كيفية التحول من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث إنما يحفر وينقب عن

الإبستيمي الذي تحكم في العقل العربي الإسلامي ومازال يعيد إنتاج نفسه بالطريقة ذاتها.

ومن خلال تتبع منهجية الناقد يجد القارئ نفسه أمام إسلام لا عهد له به " إسلام متحرك ومربك يحمل قارئه قسرا على مغادرة اطمئنانه ويقينه، إسلام مجاف لروح الثبات، ذلك الذي ظلت تغذيه المؤسسة الدينية بحجة الوفاء لإرث السلف الصالح"٨ وهكذا، يحاول تفكير الناقد أن يفكك العقل الأسطوري الذي تشكل بعد عصر الرسالة وأصبغ أسطرته على شخص محمد صلى الله عليه وسلم فقدّسه وكأنّ النبوة لا تكون له إلا متى كانت سجاياه فوق طبيعية وفوق بشرية، إنّ المنظور المثالي/ اللاتاريخي لايتحمل مسؤولية تخلقه سوى العقل العربي السنّي بعد توسع الإمبراطورية بفعل الفتوحات.

ولا مراء تأسيسا على الذي ذكر أنّ خطاب "طرابيشي" لا يكاد يخرج عن فرضيات ونتائج بعض القراءات المعاصرة ، أليست هي الحداثة تمعن في تعرية الطبيعة من هالتها السحرية؟ أليست تثبت مركزية الإنسان عقلا وحرية؟

إنّه وارتكازا على طروحاتها راح النّص الطرابيشي يرج القناعات المترسخة حول أهلية النّص النبوي في التشريع بدءا بمصطلح السنّة الذي لا حضور له في القرآن، مرورا بالتشديد على البشرية المطلقة للنبيّ إلاّ في حالة الوحي فإلى نقد فهوم أصحاب المذاهب وعلماء أصول الفقه لاحقا.

٢ ـ الرسول الأمي قارئ كاتب

وككلّ التحولات المعرفية التي صاحبت الخروج عن إسلام القرآن نحو إسلام الحديث اكتست الأمية توصيفا غير ذاك الذي اصطبغت به داخل النص القرآني ، الذي ذكر النبيّ الأميّ والأمة الأمية عادة في سياقات المعارضة مع أهل الكتاب ٩ " وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين" " ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني" ، " ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل" ، " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم "... بهذا التقصي يبدو أن مفهوم الأمية بمعنى جهل الكتابة والقراءة بعيد عن منطوق النّص الذي ينظر إليهم على أنهم الباقون على فطرتهم الأولى لم يتلقوا كتابا شأن اليهود والنصارى، وقضية الأمية الحقيقة تبقى من أكثر القضايا احتمالية ،إذ يتيه الباحث بين ما تأوله القدامى وما يتأوّله المعاصرون .

والسؤال الجدير بالطرح: لماذا يسكت طرابيشي عن مناقشة الآية الثامنة والأربعين من سورة العنكبوت إذ ترد في سياق غير كتابي وغير كتابيين " وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون" فأليس من أبجديات التأويل أنّنا لا يمكن أن نعرف القراءة الصحيحة لفقرة ما في نص ما مالم نعرف النّص بأكمله ولن نعرف النّص بأكمله ما لم نعرف أجزاءه "؟ ١٠ أليس طرابيشي من أعاب على

الطبري إخلاله بقاعدة أساسية من قواعد التأويل وهي ألا يأتي تأويل آية بعينها مخالفا لمضمون آيات أخرى. فضلا عن استدعائه الخطابات الهامشية في معالجة قضية الأمية من أنّ "الأمي معناه النسبة إلى أم القرى"١١، لكن هل من شرط النبوة الجهل بالقراءة و الكتابة ؟ وإذا كان محمد عالما بهما فلم يلصق به الموروث صفة الجهل بهما؟.

إنّه وتخوفا من التهم اليهودية والمسيحية التي قد تذهب إلى إمكانية تأثير علم الرسول فيما ينقله أصر الموروث على ترسيخ فرضية أميته فمعاصروا محمد كانوا بعيدين عن عن إثارة هذه المسألة١٢ ، ذلك أن الوسط والزمن الذي عاش فيهما الرسول يفرضان عليه صفات العلم والنبوغ والذكاء.

على أنّ كتابة السيرة واللحظات المفصلية في حياة النبي محمّد يجب أن تتم ضمن منظور التفرقة الجوهرية بين ما تتأسس عليه الثقافة المكتوبة وما تتأسس عليه الثقافة الشفاهية حيث إنّ معرفة ما إذا كان محمّد يعرف القراءة والكتابة أم لا مسألة تحرف أنظارنا عن المناخ النفسي والثقافي للوحي.

إن الخطاب النبوي، والرأي لأركون، خطاب شفاهي بالأساس، وإذن فما هو مهم ليس معرفة قضية أمية الرسول بل التوصل إلى النتائج المنبثقة عن هذا العقل الشفاهي ١٣.

٣ ـ لا أممية الرسالة والفضاء المحدود:

ويستمر طرابيشي في تكسير اليقينيات التي رسختها المركزية السنية / إسلام التاريخ في خطوة صوب فك الانغلاقات العقدية المزمنة والمهيمنة على الفكر الإسلامي منذ قرون ، وإعادة تلقي النص القرآني برؤية أكثر عقلانية اعتمادا على المنجز الحداثي ذلك أن تأويلات الفقهاء قد قامت على انتزاع الآيّ من سياقه الكلي، إذ إن النبيّ الأمي قد استحال نبيّا أمميا مرسلا إلى الأمم كافة بفعل مثل هذه التأويلات التاريخية ، أما النص ذاته فيناقض هذا الزعم "حيث قضت المشيئة الإلهية ألا يكون البشر أمة واحدة وأن يكون بالتالي لكل أمة رسولها" ١٤ ويستحضر عديد الآيات "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة " " ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة" " ولكل أمة رسول" ... لم يتأت للمفسرين، والرأي لطرابيشي، طوال آيّ القرآن كلّها العثور إلاّ على آية يتيمة حوّلوا من خلالها النبيّ المبعوث إلى قومه خاصة إلى نبيّ مبعوث إلى الأمم قاطبة وهي قوله " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون" حيث يعيب " طرابيشي" على الطبري إخلاله بقاعدة أساسية من قواعد التأويل، وهي ألا يأتي تأويل آية بعينها مخالفا لمضمون آيات أخرى. وأول بنود هذه القاعدة " لكلّ أمة رسولها" وثانيها " أنّه لا يرسل من رسول إلا بلسان قومه" وثالثها " أنّ الرسول ما أوحي إليه القرآن إلا عربيا " ورابعها أن العلاقة حصرية بين عروبة القرآن وعروبة الأمة ١٥. ولا يلبث الناقد أن يباشر الآية الثامنة والعشرين من سورة سبأ بوصفها موضوعا علاميا يقرأ في سياق النص ككل،

استعانة بالإحصاء وعلوم الألسنية والتطور الدلالي الذي تكتسبه الكلمات مع مرور الأزمنة ، فكلمة النّاس التي ترد في القرآن ٢٤٠ مرة لا تعني البشرية قاطبة بل بمعنى بعض الناس "وأذن في الناس بالحج / ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا" ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ...فلإبراهيم ناسه ولزكريا ناسه ولمحمد صلى الله عليه وسلم ناسه " أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس" ...إن منهم في هذا الموضع تؤكد على المعنى القومي لكلمة النّاس التي لو كان المقصود بها البشرية لما وردت في هذا السياق.

قد يبدو هذا التأويل على رصانته صادما لمسلمات ووعي المسلم التقليدي، لكنّه سؤال الحداثة يأبى إلا تحريرنا من سلطان الموروث والرجوع إلى قراءة النص كأنّ شيئا لم يكن، حسب العبارة الأثيرة ليوسف الصديق، تحررنا من الفهم التقليدي هو تأسيس لحداثة الفكر العربي الإسلامي من داخله.

والحال أنّ الجزء الثالث من كتاب "هشام جعيط" في السيرة يكاد يتمحور حول إثبات اختصاص العرب بالرسالة المحمدية، إذ كانت الرسالة في البدء عامة ثم حين آيس من إسلام اليهود ومن اهتداء النصارى أفرد دينه للعرب وقت أن أخذ الرسول بتصفية اليهود بدءا ببني قينقاع بعد بدر، يقول " والقرآن يعلنه رسولا إلى الناس كافة، هنا يجب تأويل الناس بمعنى كلّ العرب "١٦. يبقى هذا التحليل غير كاف لبلورة تصور جديد حول لا عالمية الرسالة المحمدية وقلب المفهوم السائد على عقبيه، لأجل ذلك يتوقف منهج الناقد هناك حيث تتجلى العلائق بين الرسول، الكتاب واللغة، أليس لكل أمة رسولها؟.

هكذا، تثبت نصوص طرابيشي مع الهرمينوطيقا المعاصرة أن ليس هناك فهم غير قابل للنّقد، ثم إنّ النص ملك مشاع لا يتورع عن إنتاج المعاني باختلاف الآفاق واللحظات التاريخية لقارئه، فوحدها هرمينوطيقا "غادامير" ما طرح " بقوة تورط المفسّر، إذا جاز التعبير، عبر أفقه التاريخي الثقافي في الفهم، بذا لا يعود التفسير إعادة تركيب للمعنى بل إنتاج له "١٧.

إنّه، إذا، الأفق التاريخي الثقافي لإسلام الفتوحات من طرح فهمه للكافة بمعنى العالمين وإنّه الأفق التاريخي الثقافي المغاير من أنتج لها معنى مخالفا، هو ذاك الذي يبسطه طرابيشي من خلال أدواته التحليلية "هنا أيضا فإن التاريخ يبدو سيد الحقيقة، ذلك أنه يجبرنا على أن نتساءل باستمرار عن تاريخية يقينياتنا الأكثر رسوخا وتأصلا"١٨. ثم هل تكون لفظة الناس الواردة في سورة الناس دالة على العرب دون غيرهم خصوصا وأنّها بالمفهوم الذي طرحه طرابيشي لم تقترن لا ب " جميعا" أو " أجمعين"، ويبقى هذا السؤال مؤجلا لاستنكاف خطاب الناقد عن تحليل هذه السورة، إذ بقيت في حيز المسكوت عنه والوعد المؤجل باستخلاص النتائج ضمن قراءة تمامية للنص القرآني. وإن كان هناك من جانب أممي في الرسالة ــ بمنظور طرابيشي ــ فهو

الموجه لأهل الكتاب لكن " لا ليأتيهم بكتاب بديل من كتابهم، بل ليصحح لهم ما حرفوه من الكتاب الذي أوتوه"١٩ ، أما " جعيط" فيقر بالدلالة الواضحة لكلمة العالمين القرآنية، والتي تعني كلّ النّاس، غير أنّه يؤكد مكية سورة الأنبياء وسورة الفرقان وكأنّ الرسالة المحمدية كانت في البدء عامة ثم حين " آيس من إسلام اليهود ومن اهتداء النصارى أفرد دينه وخصّصه وتخلى عن كلّ فكرة حول شمولية الرسالة التوحيدية بكسوتها القرآنية والمحمدية الجديدة، صارت رسالته عربية خالصة"٢٠، أمّا " أبو القاسم حاج حمد" فلا يشكك في عالميّة الرسالة المحمدية رغم إقراره بتركيز الدعوة بدءا على المجتمع الأمّي " فالمجتمع العربي الأمّي هو قاعدة الإسلام الذّي يتسع متدرجا لجميع الأميين في العالم بموجب سورة الجمعة، فكان لابدّ من تأمين القاعدة الأساس، القاعدة التي منها ينطلق الخطاب لجميع الأميين ثم العالم"٢١ .

لاريب أنّ تعارض هذه التصورات شاهد صريح على ما للنص القرآني من قدرة عجيبة على الإيحاء كلّ حين، إنّه النص المشروع الذي وإن ترسخ منطوقا لكن الواقع ينبئ بتحرك أبدي في مفهومه.

وفيما يخص قضاء إسلام التاريخ على التعددية وتقبل الآخر يعمل الناقد آليته حفرا وتنقيبا عن نصوص غيبتها الأيديولوجية السنية لتجد مبررا لحملة الفتوحات التي قادتها. تلك النصوص تصدح بالسبب الكامن وراء استنكاف بعض من كبار الصحابة عن المشاركة في غزوة تبوك " ولا شك أن كتب التفسير تقدّم تأويلات شتى وساذجة في الغالب باستثناء روايات نادرة ومكتومة تربطه بالتحول من حرب المشركين إلى حرب الإخوان في الكتابية الذين كانهم الروم حتى الأمس القريب" ٢٢ فقد كان لهذه الروايات أن تكون مواتا إذ إنها تصطدم بالمشروع التوسعي لإسلام الفتوحات..

أمّا "جعيط " فيرى أنّ غزوة العسرة لاصلة لها بالنصرانية بل إنّ هدفها عسكري خالص ونفسي محض، تكوين جيش قار على أهبة الاستعداد وتخويف عرب الشمال المتواصلين منذ القدم مع الروم.٢٣

وإذ يغوص طرابيشي في التاريخ القديم فقصد فهم هذا الماضي الذي فعل فعله في تشكيل التصورات والأفكار التي مازالت المحرك الأساسي للوعي العربي الإسلامي حدّ الراهن فما أحوج هذا الفكر للانخراط في دائرة الحداثة للفصل بين ما هو مقدس/ متعال وبين ما هو بشري واقعي وما أحوجه إلى استخدام العقل آلية في قراءة النصوص سيما النص المؤسس دون وسائط وفهوم انتمت إلى آفاقها التاريخية.

ويبدو أن أزمة التواصل مع الآخر المختلف/ الآخر المعادي قد اصطنعتها الإمبراطورية الإسلامية، ومن ورائها كتب الحديث التي أرادت أن تقضي على التعددية الدينية بفعل عالمية الرسالة المحمدية وضرورة انطواء الجميع تحت ظلال الأسلمة، مما يعني عيش العالم في نوع من صدام الديانات. وربما هي الصورة التي مالبثت الأنا العربية الإسلامية تصدرها عن ذاتها منذ عصر الفتوحات إلى يومنا هذا،

ما جعل باحثا أنثروبولوجيا ك " ليفي ستروس Strauss يقول " رسول الإسلام وضع المسلمين في حالة أزمة مستمرة متمثلة في التعارض بين الإيمان بالبعد الكوني لرسالته والقبول بتعدّد العقائد الدينية ولا يمكن للمسلمين اعتمادا على عقيدتهم التغلب على الصّراع المتولد من حالة المفارقة هذه، حالة القلق من جهة والاطمئنان من جهة أخرى"٢٤ فهذه المنظومة القابعة في التراث قد أصبحت عاجزة عن إدارة شؤون العالم أو حلّ شؤوون المسلمين وتحقيق التواصل والسلام مع الأمم الأخرى في ظلّ فهم دوغمائي يرى أن لا حقيقة إلا حقيقته ، والغيري ماله من خيار سوى أن يكون على مذهبه/ دينه ، إنّه ليس تقويلا لنّص " طرابيشي" بقدر ما هو محاولة فك لشيفراته ،التي تكاد تحل نفسها بنفسها، ثمّ إنّ إسلام السنة ما كان ليوجد ويشرعن نفسه لولا الفتوحات ، إنّه صناعة أعجمية بامتياز" فالإسلام الذي حمل إلى أعاجم البلدان المفتوحة، وفي مقدمتهم الفرس، كان إسلام قرآن لا يدّ لهم فيه، وما أنزل أصلا برسمهم، وبالمقابل إنّ الإسلام الذي أعادوا تصديره إلى فاتحهم كان إسلام سنّة لهم اليد الطولى في إنتاجه".٢٥

النتائج: وجملة الأمر

ـ إنّ ارتكاز " طرابيشي" على طروحات الحداثة جعله يسند الأهلية للإنسان عقلا وحرية في فهم النّصوص وتدبرها، إنّه حرّ في رفض نصوص الحديث التي لا تتوافق مع مبادئ عقله، وحرّ في نسبة النصوص إلى شروطها الزمانية، فسؤال الحداثة يقتضي طرح القداسوي وانتشال العقل من سلطان الموروث، فليس غريبا إذا ألا يسير الناقد في خط الاعتراف بقداسة السنة، أضف إلى ذلك أنّ المنهج الحفري قد أسعفه في البحث عن الكيفية التي ترسخت بها السنة في الأذهان نصا متعاليا. كما رصد من خلاله التحول الحاد من إسلام الرسالة إلى إسلام التاريخ، إذ يقوم هذا المنهج على الحفر في الخطابات ومراجعتها، والوقوف عند اللحظات الحاسمة التي تصاحب تشكل/ تغير الأفكار والتصورات.

ـ إنّ احتكام التفكير عند " جورج طرابيشي" إلى منطق الجدل بين إسلام القرآن وإسلام الحديث قد أسهم في تناسل المتناقضات: رسول أمي/ رسول قارئ كاتب، رسالة عربية/ رسالة عالمية، بشري/ إلهي، مطلق/ نسبي ـ أتوقراطي/ ثيوقراطي، إسلام رسالة/ إسلام تاريخ، نبي/ رسول ... فقد بات الإسلام واحدا ومتعددا.

ـ وبدل النظرة الشمولية للتراث تقدّم قراءة طرابيشي نظرة تجزيئية تفاضلية هي الأخرى، إذ سبق لناقد نقد العقل العربي أن أعاب بشدة على " الجابري" تقسيمه التراث إلى أنظمة متفاضلة: برهان ـ بيان ـ عرفان

ـــ تفعل آلية الناقد المنسي والمغيب التّي حاولت الأيديولوجيات السنّية حبسه وكتمانه، إنّه يعمل على إزاحة الخطابات المتمركزة حول النّص وإتاحة الفرصة للخطابات المهمشة التي يعدها خطابات عقلانية بحق.

الهوامش(قائمة المصادر والمراجع) :

١ ـ جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، دار الساقي، بيروت، ط٣ ٢٠١١، ص ٢١.
٢ـــ جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، النشأة المستأنفة، دار الساقي، بيروت، لندن، ط٢، ٢٠١١، ص ١١.
٣ـ ينظر: المصدر نفسه، ص٩.
٤ـــ أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، دار الساقي، بيروت/ لبنان، ط٢٠١٢،١، ص٧٧.
٥ـ علي مبروك، النبوة، من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، محاولة في إعادة بناء العقائد، دار التنوير، بيروت/ لبنان، ط١ ١٩٩٣، ص ٣٢.
٦ـ حمادي ذويب، السّنة بين الأصول والتاريخ، المركز الثقافي العربي، المغرب/ بيروت، ط٢، ٢٠١٣، ص ٤٤.
٧ـ جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، ص ٧٠.
٨ـ محمد حمزة، إسلام المجددين، دار الطليعة، بيروت/ لبنان، ط١، ٢٠٠٧، ص ٣٦
٩ـ ينظر: جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، ص ص ٨٩ـ ٩٠.
١٠ـ خالدة حامد، عصر الهرمينوطيقا، أبحاث التأويل، منشورات الجمل، بغداد/ بيروت، ٢٠١٤، ص ٧.
١١ـ جورج طرابيشي، وحدة العقل العربي الإسلامي، دار الساقي، بيروت ط٣ ٢٠١٠، ص ٣٦١.
١٢ـ هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة، بيروت، ط٢٠٠٨،٤، ص ٤٥.
١٣ـــ محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، دار الساقي، بيروت، ط٦، ٢٠١٢، ص ١٠٣.
١٤ـــ جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، ص ٩١.
١٥ـ ينظر: المصدر نفسه، ص ٩٦.
١٦ـ هشام جعيط، مسيرة محمد في المدينة وانتصار الإسلام (في السيرة النبوية٣)، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠١٥، ص ١٩٩.
١٧ـ شفيق جرادي وآخرون، التأويل والهرمينوطيقا، دراسات في آليات القراءة والتفسير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ص ٥٧.

١٨ـ محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، مركز الإنماء القومي، بيروت، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢،١٩٩٦، ص ١٢٩.
١٩ـ جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، ص ٩٢.
٢٠ـ هشام جعيط، مسيرة محمّد في المدينة وانتصار الإسلام، ص ١٤.
21ـ أبو القاسم حاج حمد ، الحاكمية ، ص ٩٦.
٢٢ـ جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، ص ٩٥.
٢٣ـ ينظر: هشام جعيط، مسيرة محمد في المدينة وانتصار الإسلام، ص ١٩١.
٢٤ـ محمد حبيدة وآخرون، الأنثروبولوجيا من البنيوية إلى التأويلية، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء،٢٠١٤ ، ص ٧١، نقلا عن levis Strauss : Tristes Tropiques
25ـ جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، ص ١٠٣.

Abstract:

The present study tries to touch on the latest critical project of the Syrian thinker "George Tarabichi" with the following title: "From the Islam of the Koran to the Islam of Hadith, the resumed development", to understand and discuss. The aim is to examine the scientific and methodical choice of the critic while neglecting the null debate on the corpus of AL-jabri.

The research focused on the methodical mechanism that the critic exploited in reading the Arab Islamic heritage, particularly the part that concerns the spirit of the Sunnah. In his reading, the critic wanted to confirm the exclusion of the method that helps to re-read the religious question. This was followed by a question on modernity, the mania for modernization and the way in which the Arab Islamic spirit is being blocked and delayed.

Then the research arrived, using a discursive approach, to deconstruct and interpret the discourses of "George Tarabichi" who apparently makes the Sunna or what he calls the Islam of history assume the responsibility of disabling the Islamic spirit.

Keywords: Sunnah, heritage, spirit, mechanism, the Islam of the Koran, reading, deconstruction.